# جلنار .. ملكة مصر

إعداد

أ . د / محمد عبد المنعم خفاجي

عميد كلية اللغة العربية الأسبق

الأستاذ المتفرغ بجامعة الأزهر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

# جلنار(١) .. ملكة مصر

- ١ -

جلنار ... هذه الملكة المسلمة العظيمة زوجة السلطان الملك المظفر قطز ... قد خلد اسمها على مر العصور .

وبحسبها أنها بنت السلطان محمود الغزنوى ملك بخارى وفاتح الهند ، وبحسبها كذلك أنها زوجة سلطان مصرى عظيم هو السلطان قطز .

وبحسبها كذلك أنها وقفت فى أكبر معركة فى التاريخ تقاتل فى سبيل مصر حتى خرت صريعة شهيدة فى ميدان القتال فى رمضان فى الرابع والعشرين منه من عام ٦٥٨هـ - الثالث من سبتمبر عام ١٢٦٠م .

وكان العالم الإسلامى يمر فى هذه الفترة بأقسى مرحلة من مراحل تاريخه ، مرحلة لم تدر بخلد أحد ولا كان يتصورها إنسان سقطت بغداد تحت سنابك خيل المغول ، وتهاوى العرش العباسى وانتهت الخلافة العباسية بعد خمسة قرون من حياتها .

والمغول شعب همجى متوحش عاش فى إقليم منغوليا شمالى الصين ، وكانت بداياته على يدى جنكيز خان ، الذى اتخذ مدينة ( قره قورم ) عاصمة له ، وأعلن وجوب الخضوع التام لإرادته ، والانضواء إلى رايته والذهاب معه فى جميع حروبه ، والعقوبة

---

١ - الجلنار : فارسى معرب وهو زهر الرمان .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشديدة لكل مخالفة هرمية أو هلاوة ، ولقب نفسه " الخان الأعظم " وصار ملك المغول وشمل الصين وبلاد ما وراء النهر ، وسقطت الإمبراطورية الصينية والدولة الخوارزمية وإيران أمام جيوش المغول المندفعة كالتيار الجارف ، وصارت تركستان وخراسان وأفغانستان وأذربيجان وجورجيا وجنوب روسيا فى قبضة يدى المغول ، واستمر الزحف المغولى حتى وصل إلى قريب من بغداد عاصمة الخلافة العباسية وأخذ المغول يقذفون قلاع بغداد وحصونها بالحديد والنار أربعين يوماً حتى سقطت فى أيديهم وصار الخليفة رهن مشيئتهم وخرج لمقابلة هولاكو حفيد جنكيز خان ومعه أقاربه ليسلم مدينة بغداد لهذا المغولى المتوحش المدمر.

وكان يوم الأحد الرابع من صفر عام ٦٥٦ هـ - الثانى عشر من فبراير عام ١٢٥٨م يوماً حزيناً لم ير التاريخ مثله .

بغداد غارقة فى الدماء ، والجيش العباسى أبيد إبادة كاملة والخليفة ومعه أبناؤه الثلاثة : أبو الفضل ، وأبو العباس ، وأبو المناقب أولاد المستعصم ، ومن خلفهم ثلاثة آلاف من رجالات الدولة يخرجون ليقابلوا هولاكو فى معسكره خارج المدينة وسلمت بغداد دار السلام وعاصمة الإسلام للجيش الغازى الوحشى ، وأمر الجيش الخليفة بالخروج خارج بغداد فأبيد جميعاً وأمر هولاكو الخليفة بأن يكتب بياناً للناس يأمرهم فيه بتسليم ما لديهم من سلاح والخروج من المدينة ، ففعل ما أمره به هولاكو ، وألقى الناس أسلحتهم ، وخرجوا صفوفاً صفوفاً فأبيدوا جميعاً .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبعد ثلاثة أيام من هذا اليوم الحزين أعلن هولاكو الأمان الكاملة لكل من قد بقى فى بغداد من النساء والأطفال والشيوخ وبعد ذلك بيومين دخل هولاكو المدينة وجلس فى قصر الخلافة . وأمر بحصر الخليفة المستعصم . وبأن يرشد الى كنوز البيت العباسى فيدل جند المغول اليها ، ثم يأمره بأن يحصر نساءه وخدمه وموصيفات القصر فيضمهن هولاكو الى حاشيته

وفى مساء يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر يأمر هولاكو بقتل الخليفة وولى عهده ، وفى اليوم التالى يأمر بقتل جميع امراء البيت العباسى وانتهى تاريخ العباسيين والخلافة العباسية وكنوز سبعة وثلاثين خليفة جلسوا على العرش فى بغداد ، عاصمة الدنيا ومنارة الحضارة انذاك

وظل المغول يعملون القتل والنهب فى بغداد أربعين يوماً ، ويحرقون كتب العلم التى كانت ببغداد ، أو يلقون بها فى مياه دجلة ، وما أكثرها فى سائر العلوم والفنون التى ما كان فى الدنيا ما يضارعها كما يقول صاحب " النجوم الزاهرة "

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ٢ -

وفى يوم الجمعة الثانى و العشرين من رمضان ٦٥٧هـ الموافق ١٢٥٩م توجه السفاح هولاكو إلى الشام :

- ديار بكر وربيعة ومدن الشام تسقط فى أيدى التتار .
- حلب تقاوم ثم تسقط صريعة أمام جيش هولاكو .
- دمشق تستسلم لجيش التتار .
- المغول ينتشرون فى آسيا الشمالية الغربية ، ويهددون اوربا كلها .
- سلطان حلب الملك ناصر الدين يمثل أمام هولاكو ويقول له هذا المغولى المدمر عندما أستولى على مصر سافوض إليك حكومة الشام .

وسار هولاكو بجيشه الكبير لفتح مصر والدمار والخراب يسير خلفه وأمامه أينما سار .

وبعث هولاكو برسالة إلى سلطان مصر يحملها رسول مغولى يصحبه أربعون مغولياً .

**تقول الرسالة :**

من ملك الملوك شرقاً وغرباً الخاقان الأعظم إلى سلطان مصر ... إن الله قد منحنا ممالك الأرض جميعاً وكل من يتمرد علينا ويعصى أمرنا نقضى عليه مع نسائه وأبناؤه وأقاربه والمتصلين به وعلى بلاده ورعاياه ، كما بلغ ذلك أسماع الجميع أما صيت جيشنا الذى لا حصر له فقد بلغ غاية الشهرة ، فإن كنت مطيعا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كخدم حضرتنا فأرسل إلينا الجزية ، وأقدم بنفسك وإلا فكن مستعداً للقتال ( مجلد ٢ جـ ١ صـ ٣١٠ جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذانى ) وفى آخر الرسالة تهديد لشعب مصر ، جاء فيه : يا أهل مصر ، أنتم قوم ضعاف ، فصونوا دماءكم ، ولا تقاتلونى أبداً فتندموا .

وكان سلطان مصر يومئذ هو الملك المظفر سيف الدين قطز ، ثالث سلاطين المماليك ، الذى تولى العرش فى السابع من ذى القعدة عام ٦٥٧هـ منذ شهور قلائل .

وفجأة تصل هولاكو رسالة عاجلة تنبئه بأن شقيقه الأكبر الإمبراطور المغولى مانجو خان قد مات ، فيترك الميدان ، ويعود إلى عاصمة بلاده ويترك قيادة الجيش الذاهب إلى مصر لقائده نائبه وصهره ( كيتوبوقانوبان ) .

وتصل الرسالة إلى يدى قطز فى القاهرة فى قصره بقلعة الجبل ، فيعقد مؤتمراً حربياً ، يتخذ قراراً بالحرب ، لنتوجه جميعاً إلى ساحة المعركة . فإذا ظفرنا فهو المراد ، وإلا فلن نكون ملومين أمام الله والناس . ويصبح الناس ليروا : رسل هولاكو مصلوبين فى ميادين القاهرة إعلاناً للحرب .

-٣-

ويتحرك جيش مصر ، وعلى رأسه سلطان مصر قطز ، وقائده بيبرس فى الخامس عشر من شعبان من عام ٦٥٨هـ ، والجميع يرددون الله أكبر وفى عين جالوت كانت المعركة الفاصلة ، فى ٢٥ من رمضان عام ٦٥٨هـ - ٤ سبتمبر ١٢٦٠م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قطز يقف فى ساحة المعركة ، يقاتل الأعداء ، وجيش المغول يترصده وسهامهم تتناشه من كل جانب ، وتسرع جلنار زوج السلطان إلى سلطان مصر تحميه بنفسها من سهام الأعداء ، ويصيبها فى أرض المعركة سهم قاتل فيصيبها فى الصميم ، وتخر صريعة ، شهيدة الوطن ، وهى تهتف لمصر ، ويقبل بيبرس ، فيحملها من أرض المعركة ويقدم فرسه للسلطان ليركبه بعد أن سقط فرس قطز من كثرة السهام .

لقد احتدم القتال بين الجيشين ، وكاد المغول يحدثون ثغرة فى ميسرة الجيش المصرى ، ولكن السلطان قطز أسرع إلى مكان الثغرة ، وألقى بخوذته من فوق رأسه ، وصاح صيحته التاريخية المدوية : **وإسلاماه ، وا إسلاماه ، وإسلاماه** واقتحم فى بسالة نادرة صفوف الأعداء فأثار الحماس فى جنوده ، فكروا على الجيش المغولى ، ونجحوا فى زحزحته عن مواقعه ، ثم واصلوا هجومهم ، فتقهقر المغول تاركين وراءهم عدداً كبيراً من القتلى والأسرى ، وطارد السلطان قطز فلول جيش المغول حتى أوقع بهم هزيمة ساحقة وتعقبهم بيبرس حتى أجلاهم عن الشام كله ، وسقط المغولى الوحشى أيفا صريعاً فى المعركة .

لقد أبيد الجيش المغولى إبادة كاملة ، وجىء بقائده المغولى مكبلاً بالحديد فوقف بين يدى السلطان ، وقال له قطز : أيه المجرم ، ها أنت ذا اليوم بين يدى سلطان مصر ، بعد أن سفكت الدماء البريئة وقضيت على الأرواح الطاهرة ، وخدعت الناس بغرورك وكذبك ، ويتمت الأطفال ورملت النساء ، وأنت اليو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أسير بين يدى ويرد القائد المغولى المنهزم قائلاً : إن هولاكو سيدمر مصر انتقاماً لشرفه .

ويصدر السلطان أمراً بإعدام هذا المغولى السفاح ، ويبلغ الخبر هولاكو فيعلن الحداد على جيشه وقائده أربعين يوماً ، وتصيبه لوثة جنون ، فلا يفارقه شبح جيش مصر ، وطيف جلنار ليل نهار.

وفى ليلة الأحد التاسع عشر من شهر ربيع الثانى من عام ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م كان هولاكو ابن الثمانية والأربعين عاماً نائماً فى مخدعة ، وهو يردد : ليتنا لم نحارب مصر ولا سلطان مصر ولا جيش مصر ، ليتنا لم نحارب جلنار ، وذهبت إثر ذلك روحه إلى الجحيم كما مات بعده بقليل أخوه الخاقان الأعظم مانجوخان .

وذهبوا جميعاً بعد أن ذاقوا مرارة الهزيمة على يدى جلنار وجيش مصر وسلطان مصر ، الملك المظفر قطز .

لقد عرف المغول بعد ذلك قوة الإسلام ومناعته الذاتية ، حتى ليقول مؤرخ غربى : إن المغول لم يستطيعوا قهر الإسلام بل إن الإسلام هو الذى قهرهم ، فلم يلبثوا أن اعتنقوه بعد خمسين عاماً من سقوط بغداد ، وتحولوا إلى خدمته ، وإعلاء رايته مسهمين بذلك فى دعم البناء الذى حاولوا أن يهدموه .

لقد انتهت أسطورة الجيش الذى لا يغلب بعد أن انهارت أمام زحفه جيوش الدولة الخوارزمية ، وجيوش الخلافة العباسية وبعد أن انهارت القوى المسيحية أمام الزحف المغولى المدمر ، وكان ذلك النصر معجزة السماء فى الخامس والعشرين من رمضان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المواقع ، وصارت عين جالوت من أشهر معارك التاريخ ، وكان من ثمارها أن كتبت سلطنة المماليك في مصر مركز الصدارة بين سائر دول العالم الإسلامي وأن صارت زعيمة العالم الإسلامي بأكمله .

وجعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا .. ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

**المراجع :**

١- معجم فارسى عربى .
٢- والإسلاماه : ابن كثير .
٣- جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذانى .
٤- الإسلام عبر التاريخ
٥- الدولة الإسلامية
٦- بدائع الزهور لابن إياس .
٧- عصر المماليك : لمحمود أحمد سليم .
٨- مراجع تاريخية أخرى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner